كلية الآداب والعلوم الإنسانية
faculté des lettres et des sciences humaines
ⵜⴰⵖⵍⵍⴰⵜ ⵜⵓⵔⵉⵜⵉⵏ ⴰ ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵜⵉⵙⵙⵓⵖⴰⵏ

شعبة: الدراسات الإسلامية
مختبر: الدراسات المقاصدية وقضايا التجديد
مختبر: مناهج العلوم في الحضارة الإسلامية وتجديد التراث
المركز المغربي للدراسات والإعلام في القضايا الأسرية

المركز المغربي للدراسات والإعلام في القضايا الأسرية

القيم الأسرية

في المنظومة التربوية

أشغال الندوة الوطنية المنعقدة بتاريخ:
13 و14 ماي 2025م
بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - وجدة

الجزء الأول

تنسيق:
د. حميد مسرار
د. خالد البورقادي

القيم الأسرية
في المنظومة التربوية

الجزء الأول

أشغال الندوة الوطنية المنعقدة بتاريخ:

13 ـ 14 ماي 2025

بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة

تنسيق:

د. حميد مسرار د. خالد البورقادي

الطبعة الأولى: 1446هـ/2025م

العنوان: القيم الأسرية في المنظومة التربوية

كتاب جماعي محكم

تنسيق: د. حميد مسرار ود. خالد البورقادي

الحقل المعرفي: القيم- الأسرة- المناهج الدراسية

الكلمات المفاتيح: القيم- الأسرة- المنظومة التربوية

الطبعة الأولى: 1446هـ/ 2025م

رقم الإيداع القانوني: 2025M03071

ردمك: ISBN 978-9920-23-764-2

الطبع: مكتبة قرطبة- وجدة، المغرب.

تصميم الغلاف: د. عز الدين حدو

القيم الأسرية: المفهوم والأهمية والتفعيل

أ.د.رشيد كُهُوس

أستاذ التعليم العالي بكلية أصول الدين بتطوان، جامعة عبد المالك السعدي

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد الصادق الوعد الأمين صاحب الخلق العظيم والقدر الفخيم من أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الكرام البررة أجمعين، وعلى من اقتفى أثرهم واهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فلقد ظلت الأجيال المسلمة عبر القرون تستمد من الوحي الإلهي –قرآنا وسنة- وتستقي من معينه وتستهدي بهداياته، وتستضيء بنوره، وتلتزم قيمه، وتتخلق بأخلاقه، وتنهج في بناء الأسرة نهجه وتسير على منهاجه... حتى العصر الذي انحصرت فيه عن مجتمع الإسلام قيم الوحي والنبوة، واستطاع أعداء الإسلام أن يصلوا إلى هدفهم الخبيث، وغرضهم الدفين في قطع علاقة الأسرة بقيمها ودينها وهويتها الإسلامية؛ وجعلوها تنساق وراء القيم الغربية، وتشذ عن قاعدتها الفطرية الأصلية، وتتخبط في أوحال التحلل والإباحية والتقليد الأعمى للآخر، تسير بلا هدف ولا غاية، وتعيش من غير سعي إلى إصلاح أو تغيير. فتعرضت الأسرة المسلمة المعاصرة بسب ذلك لمشكلات هزّت كيانها وأدت إلى تصدعها وتفككها، وهي التي شكلت دائما وأبدا مظلةً إنسانية ضروريةً لبناء النفس البشرية، ولممارسة المعيشة الهانئة، وذلك لما يخيم فيها من أجواء المحبة والمودة والرحمة، وما تشكله من درع حصينة لصد أوجه التعثر والضَّعف والأخذ بيد أفرادها إلى الطمأنينة والأنس والاستقرار.

والحقيقة أن الأسرة الصالحة هي الدعامة الأساس لقيام المجتمع المسلم الرشيد، وهي ضرورية لصلاح المجتمع وتماسكه وتحقيق أمنه واستقراره، ولهذا اعتنى الإسلام بها عناية كبيرة؛ فأقام على قيم العدل والفضل والتعاون والإحسان بناءها، وثَبّت بقيم الود والرحمة قواعدها، وقوى بقيم محبة الله وطاعته عراها.

لذلك نجد أن أعداء الإسلام. سواء من داخل المجتمع أو خارجه، قد بذلوا جهودا مُضنيةً واستفرغوا كلَّ وسعهم لتدمير الأسرة المسلمة، ومحو معالمها، وتفكيك أواصرها، وإبعادها عن قيمها الإسلامية. وسلكوا إلى ذلك سبلا شتى، وطرائق قددا؛ واستهدفوا بغية الوصول إلى هدفهم جميع

عناصرها وقيمها.

لقد توقفت الأسرة المسلمة عن النمو والامتداد بالشكل المطلوب داخل النسق القيمي الإسلامي، وتحولت إلى أشكال ومظاهر وعلاقات متوارثة، وعادات مستوردة وتقاليد مُستهجَنة لا تمت إلى الإسلام بصلة.

لقد طال الأمد على الأسرة المعاصرة بعد أن قطعت صلتها بقيم الوحي السماوي وهداياته فوقعت في تقليد الأمم الأخرى، في الأخلاق والقيم والأشكال والمظاهر والعادات واللباس والزينة.. فأصيبت بانكسارات قيمية وخُلقية وتراجعت وظائفها التربوية والاجتماعية والحضارية..

وقد تكون الحاجة اليومَ أشدَّ من أي وقت مضى في ظل هذه التغيرات الاجتماعية والرقمية المعاصرة ووسائل التواصل الاجتماعي التي أثرت بشكل كبير على أداء الأسرة ووظائفها التربوية.. في حاجة إلى اللجوء إلى القيم الإسلامية الموجهة للأسرة، والاحتماء بها، والعض عليها بالنواجذ، حتى تستأنف الأسرة فعلها ونشاطها وتسترجعَ وظيفتها التربوية والاجتماعية والرسالية، في تنمية القيم وبثها في المجتمع للحفاظ على أمنه وتماسكه واستقراره.

فما مفهوم القيم عامة وقيم الأسرة خاصة؟

وما أهميتها داخل الأسرة وآثارها على الفرد والمجتمع؟

وكيف يمكن تفعيل هذه القيم داخل الأسرة؟

الفرع الأول: في مفهوم القيم الأسرية

1-في معنى القيم لغة:

القيم جمع قيمة، وهي من كلمة (قوم): أي أصله الواو، وأصلها مادة "قَوَمَ" وفعلها "قيَّمَ، يُقَيّمُ. والقيم مصدر بمعنى الاستقامة والاعتدال، والقوام معناه العدل، ويقال استقام الأمر، وقوام الأمر نظامه وعماده، لقولهم: هو قوام أهل بيته: أي هو الذي يقيم شأنهم. والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم، ويقال: قام الشيء بكذا: أي تعدلت قيمته به. وقومت المتاع: جعلت له قيمة معلومة. وقيمة الإنسان هي قدره؛ يقال هو ذو قيمة كبيرة أو هو إنسان لا قيمة له، ويقال: ما لي فلان قيمة: ماله من ثبات ودوام على الأمر، والرجل القيم هو الرجل المستقيم، "القيم والقوام" اسم لما يقوم به الشيء كالعماد والسناد لما

يعمد ويسنده، القيمة بأنها الصلة المستقيمة [1].

ومجمل القول: إن كلمة "قيمة" في لغة العرب تحمل دلالات متعددة أهمها:

- الديمومة والثبات.
- الصلاح والاستقامة.
- السياسة والرعاية.
- التقويم والاعتدال.
- قيمة الشيء وقدره (التقدير).

هذه جل المعاني التي تدور عليها مادة (ق و م) في اللغة العربية، وهي معاني واضحة جدا في استعمالات الناس للفظة (القيم) في زمان الناس هذا.

2-القيم في الاستعمال القرآني:

إن نسبة القيم للقرآن الكريم، إقرار بمرجعيتها التي تتصف بالشمول والكمال، ولا يشوبها قصور ولا نسبية، كالتي يضعها البشر لاختلاف مشاربهم وتخصصاتهم ومرجعياتهم. فالمصدر الرباني رؤيته شاملة للكون والحياة والإنسان، والذي أوحى به أعلم بطبيعة خلقه وبما يناسب فطرتهم ونوازعهم وحاجاتهم وما به صلاحهم واستقامتهم، وبما به يقومون بوظيفتهم في هذه الأرض ويحققون متطلبات العمران والشهود الحضاري والخلافة في الأرض.

ومن ثم بلغت مشتقات كلمة 'قوم' في القرآن الكريم حوالي ستمائة وتسعة وخمسين (659) مرة، منها: قام، وأقام، وقيام، وقائم، وقيوم، وقوام، وتقويم، في حوالي مائة وستين (160) مرة، واستقام ومستقيم

[1] - ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: قوم، دار صادر: بيروت، ط3: 1414هـ، 500/12. القاموس المحيط، الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط 8: 1426هـ/2005م، ص 1152. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مطبعة الأميرة: القاهرة، 1922م، ص:557. المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، مطبعة الأميرة: القاهرة، ط6: 1925م، ص: 714. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ط2: دار المعرفة، بيروت، ص: 417، معجم اللغة العربية، عالم المعرفة، 1995م، 1011/7. المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية: القاهرة، د.ت، 798/2.

في سبع وأربعين (47) مرة، وقيامة في سبعين (70) مرة، وقوم في ثلاث مائة واثنتين وثمانين (382) مرة[1].

ومدار دلالة هذه الألفاظ كلها هي: "الفائدة والخيرية والوزن، والثبات والاستقرار والتماسك، والمسؤولية والرعاية، والاستقامة والرشد والصلاح هي دلالة القيم القرآنية في الاصطلاح القرآني"[2].

ومن ذلك نلحظ في (القيمة) معاني ضمنية مهمة في هذا السياق، منها:

1-الإقامة الإيجابية للشيء، فلا يكون قيما، إلا إذا كان صالحا في نفسه مصلحا لغيره، وإلا لم يكن له ثمن من الناحية الحسية، ولم يكن له اعتبار من الناحية المعنوية، قال أَبو عُبَيْدَةَ: هُوَ قِوَامُ أَهْلِ بَيْتِهِ وقِيامُ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ الَّذِي يُقيم شأْنهم، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلاَ تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰما وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلا مَّعْرُوفا﴾ (النساء: 2). وَقَالَ الزَّجَّاجُ: قُرِئَتْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيامًا وقِيَمًا. وَيُقَالُ: هَذَا قِوامُ الأَمر ومِلاكُه الَّذِي يَقوم بِهِ؛ قَالَ لَبِيدٌ:

أَفَتِلْكَ أَمْ وَحْشِيّةٌ مَسْبُوعَةٌ... خُذِلَتْ، وهادِيةُ الصِّوارِ قوامُها؟

قَالَ: وَقَدْ يُفْتَحُ، وَمَعْنَى الْآيَةِ أَيِ الَّتِي جعلَها اللَّهُ لَكُمْ قِيامًا تُقِيمكم فتَقُومون بِهَا قِيامًا، وَمَنْ قرأَ قِيَمًا فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى هَذَا، وَالْمَعْنَى جَعَلَهَا اللَّهُ قِيمة "[3].

ولما كان الله قد كلف الرجال بأن يقوموا على شؤون النساء، جاء هذا التكليف في مشتق من مشتقات هذا الجذر، قال ابن منظور: "وَقَدْ يَجِيءُ الْقِيَامُ بِمَعْنَى الْمُحَافَظَةِ والإِصلاح؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ (سورة النساء:34)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِما﴾ (آل عمران: 74)، أَيْ مُلَازِمًا مُحَافِظًا"[4].

2 -الاستمرار في أداء الوظيفة الموكولة بالشيء، قال ابن منظور: "وَإِذَا انْقادَ الشَّيْءُ وَاسْتَمَرَّتْ طَرِيقَتُهُ فَقَدِ اسْتَقَامَ لوجه.. والقَائِم بالدِّين: المُسْتَمْسِك بِهِ الثَّابِتُ عَلَيْهِ. وَفِي الْحَدِيثِ: إِنَّ حَكِيمَ بْنَ

[1]- منظومة القيم المقاصدية، فتحي الملكاوي، ص 179.

[2]- التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم، فتحي حسن ملكاوي، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، مجلد 14، عدد 54، سنة 2008. بتصرف

[3]()لسان العرب، 499/12.

[4] نفسه، 497/12.

حِزام قَالَ: (بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ لَا أخِرَّ إِلَّا قَائِمًا)[1]"[2].

3- العزم والعهد، إذ لا استقامة على أمر ولا ضمان لاستمرار قيمته إلا بعزم على حفظه وصيانته، "وَمَعْنَى القِيام العَزْمُ.. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدا﴾ (الجن: 19) لَمَّا عَزَمَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ﴾(الكهف: 14)؛ أَيْ عزَموا فَقَالُوا"[3].

4- معنى العدل، قال ابن منظور: "والقَوامُ: العَدْل؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً﴾"[4].

ونخلص مما سبق أن **القيمة في اللغة هي: التقويم والاعتدال والاستقامة والثبات والاستمرار، والعزم والعهد، والإيجابية، وقيمة الشيء وقدره وثمنه..** وغيرها من المعاني.

وهذه المعاني كلها لها علاقة بالمعنى الاصطلاحي..

3-القيم في الاصطلاح:

تتضافر معاني عدة على اكتمال المفهوم الدلالي للقيمة في اللغة؛ فتعني الثبات والاستمرار وتعني القوة والوقوف، وتعني الخير والرشاد والاستقامة، وهي كلها خصائص معنوية تنطبق على المفهوم الاصطلاحي للقيمة، وإن تعذر علينا العثور على مفهوم واضح ومحدد المعالم، لأن دراسة القيم "لم تعرف عمليا إلا في القرن التاسع عشر كواحد من المواضيع الفلسفية الأصيلة، صحيح أن الفلاسفة ناقشوا منذ القدم موضوعات مثل الخير والحق والفضيلة والعدالة والجميل والصادق، إلا أن تصور القيم لم يتضح إلا في الفلسفة المعاصرة"[5].

هذا ومفهوم القيم كان حاضرا في تراثنا الإسلامي، لكن ليس بلفظة (القيم)، وإنما بعبارات أخرى تفيد نفس المعنى: كالأخلاق، والآداب، والمحامد، والشمائل والفضائل، وغير ذلك من

---

[1] مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد وآخرون. مؤسسة الرسالة، ط1: 1421هـ/2001م، مسند حكيم بن حزام. ح 15312. 28/24.

[2] لسان العرب: 12 / 500.

[3] نفسه: 12 / 497.

[4] لسان العرب: 12 / 499.

[5] القيم في الواقعية الجديدة، عطية، أحمد عبد الحليم، إصدارات أوراق فلسفية، دار الثقافة العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص123.

المصطلحات التي "كانت تغطي مساحات كبيرة من خصائص السلوك البشري. أما دوافع هذا السلوك فكانت ترتبط بأركان الإسلام وأركان الإيمان، ومفاهيم التقوى والعبادة والجزاء؛ وكلّ ذلك جعل موضوعات القيم هي موضوعات الإسلام، بوصفِه عقيدة وشريعة ونظامَ حياة؛ يُنظّم شؤون الفرد والمجتمع، وتتكامل فيه متطلباتُ العمل للدنيا والآخرة"[1].

بل إن مفهوم القيم كان مصاحبا للمسلم في سلوكاته وتعامله وتصرفاته وعلاقاته بالآخرين، بل إن رسول الله ﷺ جاء متمما لمكارم الأخلاق وصالحها، فهي قرينة بالإسلام لا تفارقه.

هذا و"قيم الأشياء والأعمال هي معايير وضوابط حاكمة لسلامة البدء، وسلامة السير في الاتجاه المستقيم القاصد الذي يتحقق به الوصول إلى المقصد"[2].

أما مفهومها اصطلاحي، فقد اختلفت الأنظار إليه حسب مجال تداولها المعرفي والتخصصي وحسب المرجعيات المختلفة للباحثين في الموضوع، ويمكن إجمال أهم تعريفاتها في الفكر الإسلامي المعاصر على الشكل الآتي:

يعرفها سيد الطهطاوي بأنها: "مجموعة من المبادئ والقواعد والمثل العليا التي يؤمن بها الناس، ويتفقون عليها فيما بينهم، ويتخذون منها ميزانا يزنون به أعمالهم، ويحكمون بها على تصرفاتهم المادية والمعنوية"[3].

في حين ذهب المفكر المغربي الدكتور طه عبد الرحمن إلى القول: بأن القيم عبارة عن معنى خفي يجده الإنسان في قلبه ولا يدركه بحسه، لكن؛ مع وجود هذا الخفاء، يبقى هذا المعنى هو الذي يهديه في حياته ويرقى بإنسانيته؛ أو بصيغة أوجز، إن القيم هي عبارة عن معان فطرية هادية وسامية[4].

أما الدكتور ملكاوي فقال: "القيم هي المعايير والضوابط الحاكمة للسلوك البشري"[5].

---

[1] منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية، فتحي حسن الملكاوي، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1: 2020م، ص 174.

[2] نفسه، ص18.

[3] القيم التربوية في القصص القرآني، سيد طهطاوي، دار الفكر العربي: القاهرة، 1996م، ص:42.

[4] سؤال العمل: بحث عن الأصول العلمية في الفكر والعلم، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت، د.ط، 2013، ص 209.

[5] منظومة القيم العليا- التوحيد والتزكية والعمران، فتحي حسن ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن، أمريكا، ط1: 2013، ص 178.

فالقيم عنده هي محددات وضوابط لسلوك الناس، تُميّزُ النوعَ الإنساني عن غيره من المخلوقات، ولذلك فإنها ترتبط بمتطلبات الاجتماع الإنساني والعيش المشترك، كما ترتبط بالكرامة الإنسانية. وتقع قضايا القيم في القلب مما شرعت له الأديان والفلسفات المختلفة منذ بدء الحياة الإنسانية[1].

أما الدكتور محمد الكتاني فقد عرفها بأنها: "الوصف الذي يكتسيه الباعث على إنجاز فعل من الأفعال، بحيث يسد حاجة من حاجات الإنسان الضرورية أو الكمالية، أو من حيث يطلب كوسيلة لتحقيق غاية أخرى، أو من حيث يعد تحقيقه مطلوبا لذاته"[2].

ويعرفها أبو العينين بأنها: "مجموعة المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل بين المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار اهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي أو اللفظي بطريقة مباشرة وغير مباشرة"[3].

فالقيم إذن هي: المعايير الثابتة الخالدة التي تمثل موازين صلاح الأقوال والأفعال والأشياء، وموازين العقائد، والشرائع، والسلوك.. وهي بمثابة الروح السارية في كل شيء، والحاكمة لكل شيء، والتي يقاس بها صلاح أي شيء فهي بديهة لا خلاف عليها، والروح سارية لا سبيل إلى إنكارها[4].

ومن هنا نستنتج أن القيم مفهوم جامع لكثير من المعاني والدلالات التي تسوغ إطلاقه على كل ما من شأنه أن يمثل معيارا يتحرك من خلاله الإنسان ويتصرف وعيا وسعا.

وعليه يمكن القول: إن مفهومها ينطبق على كل المعاني النبيلة التي تنسجم مع روح الفطرة البشرية، ويطمئن إليها جمال النفس، ويتلقاها العقل بالقبول، ويحيا بها الإنسان الحياة الطيبة.

لذلك، فالقيمة بما هي معاني إنسانية، فإنها تتأصل فيها أربعة عناصر أساسية:

- الفطرة التي تتفتق عنها شرارات القيم الإنسانية لأن "لدى الإنسان قابلية التخلق بالأخلاق الإيجابية الحميدة وبأضدادها معا، غير أن الأخلاق الحميدة هي بدون شك أسبق وأكثر رسوخا وأصالة

---

[1] منظومة القيم المقاصدية، فتحي الملكاوي، ص 179.

[2] منظومة القيم المرجعية في الإسلام، محمد الكتاني، مشنورات الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، ط2: 1433ه/2011م، ص15.

[3] القيم الإسلامية والتربية، مصطفى علي خليل أبو العينين، مكتبة إبراهيم حلبي: المدينة المنورة، 1988م, ص:24.

[4] العطاء الحضاري للإسلام، محمد عمارة، دار السلام، ط:1، 1433/2012، ص 199-200.

ورجحانا في النفوس البشرية...ومن هنا يمكن القول: إن الأخلاق فطرية، وإن الفطرة هي المنبع الأول للأخلاق"[1].

- الجمال حيث تميل إليها النفس البشرية للحسن الذي تقره الأديان فيها وتصدقه العقول.
- الحق الذي يمنحها سلطة الاحترام والتمثل الإنساني وثباتا في الاستمرار على سبيل الجادة بين الناس.
- الجهد؛ لأنه يندر امتلاك القيم وتمثلها من دون تكلف، ومدافعة لأضدادها، واعتبار للمشاق في النفس البشرية.

ومجمل القول: القِيَم تعني: "**الفضائل الدِّينيّة والخُلقيّة والإنسانية والاجتماعيّة التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني، وتوجه سيره، وتحكم تصرفات أفراده، ويتحدد من خلالها سلوكهم**".

وهذه القيم المرجعية هي التي تحدد علاقات الإنسان وتوجهه إجمالا وتفصيلا ليكون مع الله تعالى، ومع نفسه، ومع أخيه الإنسان ومع مجتمعه والكون بأسره، وتتضمن هذه القيم وسائل وغايات.

إنها تمثل المبادئ والقواعدَ التي تنظم حياةَ الإنسان في دائرة علاقاته الفردية والأسرية والجماعية والمجتمعية والأفقية والعمودية بصورة تحقق مقاصدَ الإسلام وغاياته.

تأسيسا على كل ما تقدم: فإن **القيم الأسرية إطار من المثل العليا يوجه نحو أهداف تأسيس الأسرة وضمان استقرارها ونجاحها، ومن ثم فيمكن تعريفها بأنها: المبادئ التي يقوم عليها تنظيم الأسرة من حيث تكوينها ووظائفها ورسالتها وتنظيمها واستقرارها.**

الفرع الثاني: أهمية القيم الأسرية

إن القيم الأسرية تشكل إطارا مرجعيا معياريا لإنشاء الأسرة واستمرارها وأداء وظائفها وقيامها برسالتها، وتشكل مثلا عليا يمتاح منها أفراد الأسرة سلوكهم وتصرفاتهم وما ينهضون به بأسرهم ومسؤولياتهم.

ذلك بأن حياة الأسرة تتقوم بمنظومة من القيم، تحدد تصوراتها وعلاقاتها وأعمالها الظاهرة والباطنة، فكما أن الرؤية الكونية عند المسلم تتضمن نظامًا في الاعتقاد ينشئ تصورات الإنسان

[1] الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية، الريسوني، أحمد، طوب بريس، الرباط، المغرب، ط1، 2007، ص72-73.

وعباداته، ونظامًا في المعرفة ينشئ التشريعات والعلاقات، فكذلك تتضمن هذه الرؤية نظامًا للقيم تتحدد به دوافع السلوك والعمل[1].

أضف إلى هذا أن الحديث عن القيم الأسرية ينطلق من أن الأسرة ليست مجرد كيان مادي يتم فيه تلبية الحاجات المادية الحياتية فحسب، بل هي أيضا –وبالأساس– كيان معنوي وحضن تربوي، أساسه "ميثاق غليظ"، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء:21)، ووظيفته رعاية النشء والعناية به وترسيخ القيم الإسلامية ومبادئ الدين فيه، وتوفير الشعور بالأمان والطمأنينة والاستقرار داخل البيت، كما بين ذلك الحديث النبوي الشريف: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، **والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته**» قال: - وحسبت أن قد قال-: «والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته»[2].

ومن ثم فإن الوعي القيمي والعمل على تمثله وتنشئة الأسر عليه، يعد من أهم مداخل معالجة ظاهرة تفكك الأسرة وتخليها عن وظائفها التربوية والاجتماعية والحضارية.

ذلك بأن منظومة القيم الأسرية تحافظ على تماسك الأسرة أولا، ثم تماسك المجتمع ثانيا، وتسهم في مواجهة التحديات والتحولات الاجتماعية والثقافية ثالثا.

ذلك بأن القيم تمثّل الجانب المعنوي والروحي في الأسرة، كما تمثل الجوهر والأساس الذي تقوم عليه، وفي ذات الوقت تضمن سر بقائها وصمودها وتماسكها، "وهو الجانب الذي إذا اختفى يوما فإنه يؤذن بزوال الدفء المعنوي للإنسان الذي هو روح الحياة والوجود؛ فيصير وقد غادرت الرحمة قلبه، وضعف وجدانه وضميره عن أداء دوره، ولم يعد يعرف حقيقة وجوده فضلا عن حقيقة نفسه وقد بات مكبلا بقيود مادية لا يعرف منها فكاكا ولا خلاصا"[3].

ومن ثم فإن القيم جزء من المنظومة الكلية لثقافة الأسرة ومركز ارتكاز مرجعيتها وهويتها

---

[1] التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم، فتحي حسن ملكاوي. مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، مجلد 14، عدد 54.

[2] صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، ح893.

[3] الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، راغب السرجاني، ص1. كتاب منشورة على موقع نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الإسلامية، من حيث إنها تمنح الفعل الأسري معنى محددا من خلال معايير تجسيد تلك القيم وتعكسها، بل إن النظر الدقيق في المرجعية الإسلامية وتطبيقاتها النبوية يقضي بأن القيم ليست مجرد جزء داخل منظومة كلية ثقافية، وإنما هي بحد ذاتها منظومة متكاملة من عناصر ومكونات تشكل في مجموعها ومن خلال نسقيتها وبنيتها الداخلية التعبير الأسمى عن ثقافة الأسرة ودرجة فعاليتها التربوية والاجتماعية ومستوى قدراتها وإمكاناتها في خوض التدافعات الاجتماعية والثقافية، وضمان موقع الريادة في التحولات الاجتماعية والثقافية والحضارية والرقمية الكبرى، لا سيما ونحن اليوم أمام ثقافات أضاعت قيمها وتسعى لإهدار قيم الآخر[1].

وبناء على ما تقدم يمكن إجمال آثار القيم على الأسرة فيما يلي:

أ – على المستوى الفرد:

إن القيم تسهم في رسم المنحى المثالي لحياة الفرد –داخل أسرته- لكي يرتقي في مدارج التكريم، ويحافظ على آدميته المكرمة، ذلك بأن رقي الحياة الأسرية رهين بالقيم التي يتمسك بها الفرد ويتحلى بها، وانحدارها رهين بالانحدار القيمي للفرد.

لذلك تمثل القيم في الإسلام أعظم وسائل تهذيب النفوس واستكمال الفضائل، وذلك بحمل النفس على الفضيلة، والنأي بها عن الرذيلة، وتحقق للفرد الشعور بالأمان، فهو يستعين بالقيم على النهوض بوظيفته ومسؤوليته الأسرية، ومواجهة ضعف نفسه، والتحديات التي تواجهه في حياته، والعقبات التي تعترض طريقه، والأزمات التي تنزل بمجتمعه.

ومن ثم إذا فقد الفرد الجزء الحيوي من ذاته وعنوان هويته الإنسانية (القيم)، فلا محالة لا يبقى أمامه إلا الجزء البهيمي الذي تهيمن عليه الغرائز، فيسعى إلى إرضاء أهوائه وشهواته ونزواته دون النظر إلى الوسيلة والأسلوب والغاية..

ب - على مستوى الأسرة:

لا تستطيع أي أسرة البقاء والاستمرار، دون أن تحكمها مجموعة من الضوابط والقوانين التي تنظم علاقة أفرادها، وتكون تلك القوانين والضوابط بمثابة المعايير المعتمدة في توجيه سلوك أفرادها وتقويم انحرافاتهم.

---

[1]- **سنن العمران البشري في السيرة النبوية**، عزيز البطيوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1: 2018/1439، ص 548-549.

ومن ثم تحتل القيمُ مكانةً بارزة في الأسرة، وذلك لأهميتها في حفظ تماسكها وترابطها وتحقيق أمنها واستقرارها، والحيلولة دون تفككها وانهيارها.. ومن ثم فهي ضرورةٌ للأسرة، على أساس أن الأسرة لا يمكن أن تستغني عن هذه القيم، وإلا عمتها الفوضى، وتحكمت في مفاصلها الأنانيةُ المفرطة والظلم، والنزاعات والشهوات الطائشة...

كما أن القيم تساعد الأسرة على مواجهة التحديات، واقتحام العقبات، وذلك بتحديد الاختيارات الصحيحة التي تحفظ للأسرة كيانها وأمنها وتماسكها، وتحقق مصالحها العاجلة والآجلة، حتى يأمن أفراد الأسرة على ضروريات حياتهم.

كما أن من الأبعاد الاجتماعية لمنظومة القيم الأسرية تأسيس العلاقات بين أفرادها على أسس خُلُقية تسهم في توفير مقومات القوة والرقي للأسرة من خلال بيئة أسرية إيجابية ومحضن أسري دافئ قائم على أساس العدل والعفة والتآلف والمحبة والرحمة والتعاون، والاستعداد الجمعي لمواجهة الأزمات والشدائد والتحديات المتنوعة التي تعصف بالأسرة.

أضف إلى كل ما تقدم أن ترسيخ القيم في الأسرة يسهم في صناعة روح التنافس الخيِّر بين أفرادها، ويخفف من أعبائها، ويحميه من أي اختراق خارجي يهدف إلى تفتيتها أو استنزاف طاقاتها، أو تمزيق عناصرها، أو بذر التفرقة بين مكوناتها، أو استهداف هويتها وفطرتها.

ومن ثم فالأسرة في الإسلام كيان معنوي أي: أنّ العلاقات فيه تُبنى على الروابط الأدبية من توادٍّ وتراحم، لا على أساس العلاقات المادية فقط.... ومَثَلُ الأسرة التي تبنى على الجانب المادي فقط "كمثل الأحجار المتراصّة التي يجاور بعضها بعضًا من غير ارتباط وثيق بين أجزائها، وإنّه مهما يكن فيه من تنسيق هندسي لا يمكن أن يكون متلاحمًا متّصلاً، وأنّه ينهار لأقل عاصفة تثور، ولا يستمر مُجتمِعا إلاّ إذا كان مهندس البناء قوّاما عليه يتتبع ثغراته، فيسارع بسدّ ما يظهر منها بعمل مادي أيضًا"[1].

ونستنتج مما سبق أن القيم الأسرية سلم ثابت قائمة على الوحدة والائتلاف لا صراع فيها، متوازنة بين متطلبات الحياة الدنيا والأخرى، قائمة على العدل والمساواة والمحبة والرحمة والإيثار والأمانة والتعاون والتشاور، والإيمان بالمصير المشترك.

[1] - المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط: د،ت، ص88.

كما أن القيم من معززات الصحة النفسية للأسرة، ذلك بأن غياب المعايير القيمية داخل الأسرة يترتب عليه الاعتلالات النفسية، والتقوقع حول الشهوات والنزوات والدوافع والأنانية والفردانية، ثم سيطرة الأفكار السوداوية وما يرادف ذلك من اكتئاب ثم دخول في سلسلة الأمراض النفسية المتداخلة في درجتها الثانية مع الانحراف السلوكي، والذي يتسم بالحدة والعنف في أغلب أحواله...

وتأسيسا عليه، فالقيم هي أساس بناء الأسرة وعنوان رقيها وهي الدعامة الأولى لحفظ أمنها وتماسكها واستقرارها واستمرارها، ومواجهة الأزمات والتحديات والعقبات التي تعترضها، وبفضلها ينهض العمل الصالح النافع من أجل خير الأسرة والمجتمع والأمة..

ومجل القول: إن القيم تساعد على النهوض بالمسؤوليات الأسرية على أتم وجه، وتساعد أيضا على تعزيز العلاقات الأسرية والتفاهم بين أفراد الأسرة، كما تسهم في بناء الهوية الدينية والثقافية والانتماء لدى أفراد الأسرة.

الفرع الثالث: الأسرة محضنا لاكتساب القيم وتفعيلها

إن الأسرة هي وحدة أساسية في نقل القيم الإيجابية إلى الأجيال الصاعدة، ولها أهمية حيوية في تعزيزها لديهم، بل إن تأثيرها الإيجابي في بناء القيم يمتد إلى مستويات أوسع في بناء مجتمع آمن متماسك محصن من كل ما يستهدف فطرته وهويته وأخلاقه.

ومن ثم تعد الأسرة المدرسة الأولى والقناة الرئيسة لتمرير القيم والأخلاق للأبناء، فهي جزء من الرعاية المطلوبة والمسؤولية التي أنيطت بالوالدين. فهم مسؤولون عن الحفاظ على فطرة أبنائهما وهويته وقيمهم الإسلامية.

ولذلك لابد من ترجمة منظومة القيم الإسلامية في واقع الحياة الأسرية؛ حتى ينشأ الأبناء في أسرة تمارس تلك القيم وتبني حياتَها من خلالها، ذلك بأن الأبناء يتأثرون في الأسرة بسلوك الأبوين باعتبارهما القدوة الحسنة لهم...

ذلك بأن القيم الإسلامية تتحقق تربية الأبناء عليها إذا كانت من الصفات الملازمة للسلوك اليومي للكبار في الأسرة، والمدرسةِ، والجامعة، والمسجد والنادي وفي الحياة اليومية وفي كل نواحي المجتمع، لأن استهتار الأفراد بقيم الوحي الأساسية جاء نتيجةَ اعتبارِها من التحسينيات التكميليات لا من الضروريات الواجبات والفروض العينية.

إنّ التربية على قيم الوفاء، والعدل، والإخلاص، والأمانة، والصدق، والنقاء، والعفة والطهارة، والحياء والوقار، والمروءة، والبر والإحسان، وتحمّل المسؤولية وغيرها من القيم لا تتحقق في أسر تُقسّم الكذب إلى أبيض وأسود، وتعد العطف والشفقة والحب أنواعًا من الضعف البشري، وتَعتبر الصدق والأمانة والإخلاص وغيرها من مخلفات المجتمعات والأسر القديمة. وأول قدوة مؤثرة في ممارسة القيم هي: الأسرة.

إن الإسلام الحنيف يرسم الطريق إلى تكوين الأجيال وصناعة الرجال وتربية الأبناء من خلال القيم الإسلامية.. تربية تمتح من المعين الأول وتواكب العصر ومستجداته.. ذلك بأن الإسلام لا يدعو إلى تربية مغلقة جافة أو إلى تقليد الآباء، وهو في نفس الوقت لا يُطلق الأجيال دون أن يكون لها نصيب من الحصانة والحماية وفهم الوِجهة والمقصَد والغاية.

ومن هنا فإن التربية الأسرية على القيم في منظور الإسلام تقوم على التكامل والنظرة الجامعة، وعلى ترابط العناصر وتفاعلها بحيث لا يطغى عنصر منها على الآخر ولا يستعلي، وبحيث تحقق في مجموعها الاستجابة لتركيب الإنسان نفسه الجامع بين المادة والروح والعقل والقلب؛ وبهذا تختلف في منهاجها عن التربية التي تقدمها المناهج والمذاهب العالمية على السواء في أنها تجمع بين الدائرة الثابتة والدائرة المتحركة.

وتأسيسا عليها فإن الأسرة تقوم بتفعيل منظومة القيم لدى الأفراد من خلال الجوانب الآتية:

أولا-تفعيل القيم المحافِظة للعقيدة:

إن أهم مسؤولية تقع على عاتق الأسرة هي مسؤولية حفظ عقيدة النشء وغرس الإيمان في نفوسهم منذ نعومة أظفارهم وفي سائر مراحلهم العمرية، فهم ملزمون بذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»[1]، فهما المسؤولان عن عقيدة الأبناء وإيمانهم.

وفي مقدمة القيم المحافظة على عقيدة الأسرة عامة والأبناء خاصة قيمة التوحيد، فهي أم القيم وأساسها ومنطلقها، وعنها تنبثق سائر القيم الأخرى.

[1]- صحيح البخاري، كتاب الجنائز، بَابُ مَا قِيلَ فِي أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ، ح1385. صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، ح2685.

ذلك بأن التوحيد هو لبّ هذا الدين، وأساسه المتين وقاعدته المكينة، ودعامته الكبرى، ولهذا كان التوحيد رسالة كلّ رسول ونبيّ مرسل من لدن رب العالمين للناس.. ولذلك فإن قيمة التوحيد ترسخ الإيمان في القلوب وتخرج النفس البشرية من ضياع الارتياب والشك إلى ثبات العقيدة وتلمس الطريق الصحيح قولًا وعملًا.. ويكسبه التوافق النفسي ويمده بطاقة نورانية يثبت بها عند الشدائد ويواجه بها تحديات الحياة وابتلاءاتها.

ثم الأمر نفسه في تفعيل باقي القيم المنبثقة عن التوحيد والمستمدة منه كقيمة الاستقامة والصلاح وغيرها من القيم الأخرى التي أنيطت بالأسرة مسؤولية تفعيلها لدى النشء وتربيتهم عليها.

ثانيا-تفعيل القيم المحققة للصلاح النفسي.

إن أهم مظهر لأزمة التربية على القيم هو ضعف تمثلها على مستوى السلوك اليومي للأسرة، مما يؤثر سلبا على تنشئة الأبناء، ويتبين من استعراض معظم الإخفاقات الحاصلة في ترسيخ القيم في نفوس النشء، هو غياب تمثلها وتطبيقها في سلوك الأبوين، إذ معظم القيم يلاحظها الأبناء على المستوى النظري فقط للأسرة في حالة وجودها، أما التنزيل الفعلي فهناك فارق بين ما يقوله الآباء، وما يفعلونه، انفصام نكد بين القول والفعل، والوعي والسعي، ومن ثم فإن أزمة الأسر اليوم هو أزمة القدوة في تمثل القيم، وأول منطلق وأهمه في تفعيل القيم داخل الأسرة هو القدوة، إذ لا يمكن ترسيخ قيمة الصدق – على سبيل المثال- في نفوس الأبناء وتعزيزها لديهم إذا كان المربي يكذب على أبنائه أو زوجه أو في سلوكاته وتصرفاته.

فالكل يدعو إلى التزام القيم، ويصر على أنها أساس التربية وتحقيق أمن الأسرة، لكن يكاد الجميع يغفلون عن التطبيق العملي لها، وفاقد الشيء لا يعطيه.

ومن ثم فإن النشء الذي يعيش في أحضان أسرةٍ القيمُ عندها مجرد أماني قلبية، وصور خيالية لا أثر لها في الواقع، يتعذر تحقيق نتائجها السلوكية في الواقع؛ لأن النشء يتأثر بسلوك المربين والأبوين.

لذلك لابد من تفعيل قيم الصلاح في نفوس المربين أولا ثم بعد ذلك تفعيلها في نفوس النشء، ومن أمثلة القيم المحققة للصلاح النفسي ما يأتي:

1-قيمة التزكية: التزكية هي: تطهير النفس من الأدران والأوصاف الذميمة وتنميتها بزيادتها بالأوصاف الحميدة وتحليتها بمكارم الأخلاق ومحاسن الخصال، وهي إيقاظ للفطرة وتقويمها، وهي

سماع وتشبه وتمثل وتشرب؛ سماع لنداء الحق واستجابة له، وتشبه واقتداء، وتشرب قلبي روحي فتمثل فكري سلوكي، تزكية تربط مصير الفرد المؤمن المرجو عند الله بمصير الأمة في الأرض.

وتأسيسا عليه، فلا نهوض للأسرة إن لم تُول العناية اللازمة للتزكية التي يتحقق بها الصلاح النفسي.

يقول الدكتور ملكاوي: "إذا كان التوحيد مقصَدا قرآنيا، يتصل في الأساس بعقيدة الإيمان بوحدانية الله سبحانه، وتتجلى آثاره في ترشيد الصلة بالله الواحد عن طريق العبادات الشعائرية والتعاملية، فإن التزكية مقصَد قرآني يتصل في الأساس بالإنسان الذي استخلفه الله في الأرض؛ الإنسان في ضميره وعلاقاته وأنماط سلوكه. ومن ثم فإن موضوع التزكية هو إصلاح واقع الإنسان فردا وجماعة وأمة ونوعا بشريا، وإصلاح الإنسان مادة وروحا. والمقصَد المباشر هو ترقية هذا الإنسان في مراتب التزكية والتنقية والتطهير في المشاعر والخلجات والخواطر النفسية، على مستوى الفرد الإنساني، وفي التطهير والبركة والنماء في ماله وممتلكاته، وفي الترقية والإحسان في علاقاته الأسرية والاجتماعية، ليكون الإنسان أقدر على تحقيق الإصلاح"[1] في البناء الأسري والاجتماعي والعمران البشري.

ويمكن القول إن قيمة التزكية مدخل جوهري لصناعة النشء الصالح؛ لا تقتصر على إعداد النشء للحياة فقط، بل هي الحياة نفسها؛ لأنها لا تقف عند الجانب الروحي فقط، بل تمتد إلى بناء فكري وثقافي وسلوكي وجداني متكامل.. حيث تسهم في التحويل الثقافي للنشء وتعيد تشكيله وفق نسق جديد من هدايات الوحي.. ولا تفعيل لقيم الإصلاح بدون التزكية، إذ هي مقدمته وأساسه ومنطلقه. لقوله صلى الله عليه وسلم: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[2].

2-**قيمة العفة:** إن قيمة العفة تشمل الاستعفاف عن الحرام في كل شيء؛ في الرزق، والشهوة، وأعراض الناس، وسائر أمور الحياة اليومية، وتعزيزها في الأسرة يتحقق باستعفاف الوالدين والتزامهم بقيم الوحي في شؤونهم كلها، وفي مقدمتها الاستعفاف عن الحرام في كل شيء، وهذا ما يؤكده الحديث

[1] - القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية، فتحي حسن ملكاوي، ص240.

[2]-صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابُ فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، ح52.

النبوي الشريف: «**وعفُّوا تعِفُّ نساؤُكم**»[1].

3-قيمة الرحمة: إن قيمة الرحمة قيمة أساسية لتفعيل قيم الصلاح النفسي لدى الأسرة، فالمربي القاسي لا يستطيع أن يفعل الصلاح في أسرته؛ لأنه سيفسد بقسوته أكثر مما يصلح، والرحمة هي باب تعزيز القيم لدى الأبناء وتفعيلها في نفسوهم.. فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ قَالَ: **مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ**»[2].

ثالثا-تفعيل القيم الموجهة للتصرفات والسلوكات مع الآخرين:

إن الوالدين قدوة لأبنائهم وقناة نقل القيم الإسلامية إليهم، وهما الحصن الحصين لهم أمام التيارات الهدامة التي تستهدف قيمهم وأخلاقهم ومبادئهم وهويتهم الإسلامية؛ لذا تعد مرحلة الطفولة المرحلة المثالية لتعزيز القيم وترسيخها في نفوس النشء.. ومن هذه القيم الأساسية: القيم الموجهة للتصرفات والسلوكات مع الآخرين، وهذه أمثلتها:

1-قيمة بر الوالدين: إن البر قيمة متبادلة؛ فقد وصى النبي صلى الله عليه وسلم الآباء أن يكونوا قدوة لأبنائهم في بر الوالدين؛ ففي الحديث النبوي الشريف: «**بِرُّوا آباءَكم تُبِرُّكم أبناؤكم**»[3]. وبالإحسان لهما حتى بعد وفاتهما بالدعاء لهما وصلة أهل ودهما لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «**احْفَظْ وُدَّ أَبِيكَ، لَا تَقْطَعْهُ فَيُطْفِئَ اللَّهُ نُورَكَ**»[4]، عن بَهْز بْنِ حَكِيمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: «أُمَّكَ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمَّكَ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمَّكَ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ الأَقْرَبَ فَالأَقْرَبَ»[5].

2-**قيمة الصدق:** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**عَلَيْكُمْ**

---

[1]-المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني،تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد-أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة، 1415هـ/1995م، ح1002، 299/1.

[2]- صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَابُ رَحْمَةِ الْوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ، ح5997.

[3]- المعجم الأوسط، الطبراني، ح1002، 299/1.

[4]-الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256 هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية ومكتبتها – القاهرة، ط2: 1379هـ، ص29.

[5]- سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، بَابُ مَا جَاءَ فِي بِرِّ الوَالِدَيْنِ، ح1897.

بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ العَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»[1].

إن اتصاف الوالدين بالصدق مقدمة لتفعيله في الأسرة وتنشئة الأبناء عليه، أما إذا كانت علاقتهم أسست على الكذب فإن ذلك سيؤثر على تنشئة الأبناء على الصدق.

3- قيمة تحمل المسؤولية: إن تحمل المسؤولية تكليف شرعي وواجب ديني، فعلى الوالدين إشراك الأبناء في تحمل المسؤولية وتدريبهم عليها، كتكليفهم ببعض المهام المناسبة لسنهم، واستشارتهم في بعض أمور الأسرة، والأخذ برأيهم في بعض الأحيان تشجيعا لهم.. ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة في هذا؛ فقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا على إشراك الشباب في تحمل المسؤولية، فلقد أعطى أسامة بن زيد رضي الله عنهما وهو في شبابه قيادة الجيش ليحارب قضاعة، وكان الجيش بطبيعة الحال يضم العديد من الصحابة الأخيار رضي الله عنهم يكبرونه سنا، ويفوقونه تجربة.. وبعد الفتح الأعظم لمكة المكرمة في العام الهجري الثامن وقبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين، عين عتاب بن أسيد بن أبي العيص رضي الله عنه، وهو شاب في نحو العشرين من عمره، وكان قد أسلم يوم فتح مكة، ومشاهد السيرة النبوية العطرة في هذا أكثر من أن تحصى.

4- قيمة الاحترام: إن الاحترام دعامة كل العلاقات الاجتماعية وفي مقدمتها العلاقات الأسرية، فقيمة الاحترام في الأسرة قيمة راسخة قائمة على التوقير والتعامل بأدب جمٍّ بين أفراد الأسرة صغارًا وكبارًا أزواجًا وآباء وأبناء وإخوة.. فالزوجة تحترم زوجها وتقدر جهده وتوقره في حضوره وغيابه سيما أمام أولادها.. والزوج يوقر زوجته ويثني على عملها وخصالها أمام أبنائها ويحترم عائلتها ويتجنب إهانتها؛ فعَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**» [2].

والوالدان في مقدمة من يجب احترامهما، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا**

[1]- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب، وحسن الصدق وفضله، ح2607.

[2] -مسند أحمد بن حنبل، ح3895، 709/5.

قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء: 24).

والإخوة يحترم بعضهم بعضا: فعن أَنَس بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: جَاءَ شَيْخٌ يُرِيدُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَبْطَأَ القَوْمُ عَنْهُ أَنْ يُوَسِّعُوا لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**»[1].

ومن ثم فإن الاحترام المتبادل بين أفراد الأسرة وتنشئة الأبناء عليه سيولد لديهم طاقة إيجابية نحو الآخرين؛ فيعترفون بتميزهم ويسعون لإسعادهم كما تدربوا على ذلك في أسرهم، فعلى سبيل المثال يتعلم الأبناء الاحترام من معاملة والديهما لبعضهم بعضا والصغير يتعلم من الكبير كيف تكون الرحمة بالصغير وهكذا[2].

رابعا-تفعيل القيم المحافظة على تماسك الأسرة:

إن من القيم التي يجب تفعيلها داخل الأسرة منظومة القيم التي تحافظ على تماسك الأسرة وقوتها وأمنها واستمرارها، منها على سبيل المثال:

1-قيمة التغافل الأسري:

تعد قيمة التغافل في الحياة الأسرية مهمة جدا خاصة أنها تحافظ على سير الأسرة واستقرار نظامها، ذلك بأن التغافل هو غضّ الطَّرف والإعراض عن صغائر الأمور وتجاهلها، والترفع عن الانفعال السلبي السريع، خاصة في الأمور التي يمكن تحملها، والهنات اليسيرة التي لا تؤثر على نظام الأسرة وسيرها، -وليس المقصود التغاضي عن عظائم الأمور التي تدمر أمن الأسرة وقيمها-؛ والتغاضي عن الهفوات يمنح الأسرة فسحة من الاستمرارية والسعادة واستقامة الحياة؛ إذ التدقيق في كل صغيرة وهفوة مُنغِّص للحياة الأسرية، فالأسر المطمئنة لا تُبنَى بالبحث عن الزلات والهفوات.. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ**»[3].

وها هو النبي صلى الله عليه وسلم يتجاوز عن غَيرَةِ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين

---

[1] سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، بَابُ مَا جَاءَ فِي رَحْمَةِ الصِّبْيَانِ، ح1919.

[2] ينظر: مسار الأسرة، عبد الكريم بكار، دار السلام للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة-مصر، ط1، 2009م، ص76-77.

[3] صحيح مسلم، مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ح 1469.

كسرت إناء الطعام الذي أرسل إليه من إحدى زوجاته، فَيُهوِّن الأمرَ قائلاً للصحابة: «**غَارت أُمُّكم**»[1].

والآباء كذلك يتغافلون عن أخطاء أبنائهم، والإخوة كذلك، وهكذا تفعل هذه القيمة داخل الأسرة وتُعزز.

2-قيمة المعاشرة بالمعروف:

إن من القيم التي يجب تفعيلها في الأسرة قيمة المعاشرة بالمعروف، عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ**»[2]. وعنه رضي الله عنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**استوصوا بالنساء خيرا**»[3]. إن خيار الأزواج مَن اهتدى بهدايات السنة الغراء وعمل بوصية النبوة، وسار على منهاجه، وقام بمقتضيات القوامة داخل الأسرة على أتم وجه، وتحمل مسؤوليته الأسرية كما أراد الله.. هذا من أجل دفع كلِّ ما يُحوّل سفينة الأسرة عن وجهتها، ويعمق خلافتها.. إن المعاشرة بالمعروف بين الزوجين لها أهمية كبيرة في تعزيز القيم لدى الأبناء، وتربيتهم عليها من خلال القدوة.

ومما يدرج في قيمة المعاشرة بالمعروف، نبذ السب والشتم واللعن بين الزوجين، لأنه يزيد من حدة النزاعات ويشعل فتيلَ الأزمات؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ**»[4].

ومن المعاشرة بالمعروف النأي بالنفس عن الغضب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، قال: «**لا تغضب**» فردد مرارا، قال: «**لا تغضب**»[5].

وصية نبوية خالدة وعلاج نبوي فعال. الغضب يدمر الأسر ويخرب البيوت، ويَفصم العرى، ويُضيِّع العلاقات، ويؤدي إلى ما لا تحمد عقباه.

فالغضب من الشيطان والشيطان لا يريد الخير للأسرة بل يريد شتاتَها وذهاب أمرها.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الغيرة، ح5225.

[2] سنن الترمذي، أبواب الرضاع، بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ المَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا، ح1162.

[3] صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ح1468.

[4] سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة، ح1977.

[5] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ح5765.

ومن ثم فإن تركَ الغضبِ والانفعال، وكظمَ الغيظ والحِلم والرفق.. من أعظم الوسائل التي تحافظ على استقرار الحياة الزوجية، وتُلطف أجواءها المتوترة، وتساعد على اتخاذ القرار السليم لحل النزاع والخلاف.. ومن ثم صناعة بيئة أسرية ومحضن تربوي للأبناء يتلقون فيه القيم وينشأون عليها.

3-قيمة العدل: العدل ضد الظلم وهو القصد وإعطاء كل ذي حق حقه بلا محاباة ولا محسوبية، وهو قيمة تحفظ ميزان الأسرة من الاختلال، ومن آفة التطفيف، إذ العدل هو الحد الأدنى من القيم الإنسانية التي يجب أن تتوافر في تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان ناهيك عن أفراد الأسرة الواحدة؛ لذا جاء التوجيه القرآني لها بلفظ الأمر، فقال تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ (النحل: 90).

كما تؤكد نصوص السنة النبوية الغراء أهمية قيمة العدل في الأسرة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْدِلُوا في أَوْلَادِكُمْ**»[1]، وقد رد رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاء يسأله عن تمييز ولد في الهبة دون الآخر، فعن النعمان بن بشير: (أن أباه أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني نحلت ابني هذا غلامًا كان لي. فقال: «**أَكُلَّ ولدِكَ نحَلتَ -أي أعطيت- مثلَ؟**". قال: لا. قال: "**فأرجعُه**"»[2]، وفي رواية لمسلم: لم يقبل أن يشهد على الهبة، وقال للنعمان: «**أَلَيْسَ تُرِيدُ مِنْهُمْ الْبِرَّ مِثْلَ مَا تُرِيدُ مِنْ ذَا قَالَ بَلَى قَالَ فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ**»[3].

فالعدل بين الأبناء مأمور به شرعا، والتمييز بينهم يؤدي إلى انتشار البغضاء والحسد بينهم.. فلا تفضيل لأحد على أحد ذكرا كان أم أنثى.

ومن ثم فإن أول درس عملي قيمي يتلقاه الأبناء عن قيمة العدل هو عدل الوالدين بين الأبناء، فلا فضل لذكر على أنثى، ولا لكبير على صغير في هدية أو عطية إلا فيما كان حقوقا لأحدهما كالرعاية الزائدة والخاصة للصغير أو المريض أو المتغرب لطلب العلم، فتفعيل هذه القيمة داخل الأسرة يشد رابطتها، ويقوي أواصر المحبة بين أفرادها، ويصنع بيئة من الاحترام المتبادل بينهم.

ذلك بأن الكثير من النزاعات الأسرية في واقعنا المعاصر سببُها الإخلالُ بقيمة العدل داخل

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، ح1623.

[2] صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب الهبة للولد..، ح 2409.

[3] صحيح مسلم، كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، حديث رقم1623.

الأسرة مما جعل قطار الأسرة يخرج عن سكته، ويرتمي في واد التفكك والانهيار.

خاتمة:

بناء على ما تقدم يمكن استخلاص النتائج الآتية:

-إن القيم الأسرية هي المعايير والخطوات التي رسمها الوحي-قرآنا وسنة- لبناء الأسرة ونهوضها بمسؤولياتها ورساليتها وأدائها لوظائفها وحفظ نظامها وتوثيق العلاقات بين أفرادها من أجل حياة أسرية طيبة.

-إن القيم ما لم تتحول إلى سلوك عملي نراه في تصرفات الآباء والمربين لا قيمة لها، ذلك بأن القدوة هي المدخل الرئيس لتفعيل القيم في الأسرة وتنزيلها في الحياة الأسرية.

- إن تفعيل منظومة القيم الأسرية التي جاء بها الإسلام من شأنها أن تدرأ آفات التفكك والانهيار والاهتزاز والنزاعات التي هيمنت على كثير من الأسرة اليوم، ومن شأنها أيضا أن تقيم أسس أمن الأسرة ورابطتها وتماسك كيانها.

-إن القيم الأسرية ضرورة وجودية تؤسس للحالة السواء النموذجية أو المثالية المعيارية في الأسرة، انطلاقا من بناء كل فرد فيها بما يؤهله للأداء الجماعي وتحمل المسؤولية، فاللبنة الهشة في الجدار قد تكون سببا في سقوطه، أو على الأقل ثغرة ومنفذا لعلل وآفات كثيرة. فلا يكون مصلحا من لم يصلح نفسه، ولا مقيما للعدل مع غيره من لم يقم ذلك مع نفسه وفي تصرفاته، ولا مربيا للآخر على الصدق من لم يصدق هو في قوله وفعله وسلوكه..

-إن العودة إلى الأنموذج النبوي في تنزيل القيم السماوية والهدايات القرآنية المتعلقة بالأسرة هو الفيصل والمعيار لتفعيل القيم الأسرية وهداياتها على واقع الأسرة اليوم، خاصة عندما تطيش السهام، ويتطاول الأعداء على تعاليم الإسلام الخاصة بالأسرة، وتُستهدف القيم والهوية الإسلامية للأسرة، وتتقدم التقاليد الاجتماعية والعادات الغربية الوافدة، وتتحكم بالرؤى والأنظار والاجتهادات والظروف الخاصة والمعاناة الأسرية، وتتراجع القيم السماوية.. إن الملجأ حينها هو قيم الوحي -السماوي قرآنا وسنة- لإنقاذ الأسرة من ورطتها وإخراجها من نفق الأزمة ومستنقع التقليد البليد لقيم الآخر وعاداته.

والحمد لله في البدء والختام، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد خير الأنام وآله وصحبه الكرام.

ثبت المصادر والمراجع

1. التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم، فتحي حسن ملكاوي، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، مجلد 14، عدد 54، سنة 2008.
2. القيم التربوية في القصص القرآني، سيد طهطاوي، دار الفكر العربي: القاهرة، 1996م.
3. المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط: د،ت.
4. المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية: القاهرة، د.ت.
5. سؤال العمل: بحث عن الأصول العلمية في الفكر والعلم، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت، د.ط، 2013.
6. مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت 241)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد وآخرون. نشر: مؤسسة الرسالة، ط1: 1421هـ/2001م.
7. معجم اللغة العربية، عالم المعرفة، د.ط، د.ن، 1995م.
8. منظومة القيم العليا- التوحيد والتزكية والعمران، فتحي حسن ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن، أمريكا، ط1: 2013.
9. منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية، فتحي حسن الملكاوي، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1: 1441هـ/2020م.
10. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256 هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية ومكتبتها – القاهرة، ط2: 1379هـ.
11. العطاء الحضاري للإسلام، محمد عمارة، دار السلام، ط1: 2012/1433.
12. القاموس المحيط، الفيروزآبادى (ت 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط 8، 1426هـ/2005م.
13. القيم الإسلامية والتربية. مصطفى علي خليل أبو العينين، مكتبة إبراهيم حلبي: المدينة المنورة, 1988م.
14. القيم في الواقعية الجديدة، عطية، أحمد عبد الحليم، إصدارات أوراق فلسفية، دار الثقافة العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2008.

15. المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، مطبعة الأميرة: القاهرة، ط6: 1925م.
16. المصحف الشريف برواية ورش عن نافع.
17. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد-أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة، 1415هـ/1996.
18. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ط2، دار المعرفة، بيروت.
19. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: 279هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط/1998م.
20. سنن العمران البشري في السيرة النبوية، عزيز البطيوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط: 1، 2018/1439.
21. صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت: 256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1: 1422هـ.
22. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
23. الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية، الريسوني، أحمد، طوب بريس، الرباط، المغرب، ط1، 2007.
24. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت 711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3: 1414هـ.
25. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مطبعة الأميرة: القاهرة، 1922م.
26. مسار الأسرة، عبد الكريم بكار، دار السلام للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة-مصر، ط1، 2009م.
27. منظومة القيم المرجعية في الإسلام، محمد الكتاني، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، ط2: 1433ه/2011م.